JQSS – Journal of Quran Sunnah Education and Special Needs
Vol. 9 December 2025, no. e-ISSN 2590-3799

توجيهاتٌ قرآنيَّة ونبويَّة لذوي الاحتياجات الخاصَّة: حالةُ الصَّرع نموذجاً

(Quranic and Prophetic Guidance for People with Special Needs: Epilepsy as a Case Study)

Abdul Rahman Hussein Obeid
Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah, Universiti Sains Islam Malaysia

Article Progress
Received: 27 October 2025
Revised: 11 November 2025
Accepted: 25 November 2025

ملخص البحث :

يعرضُ هذا البحث بالمناقشة والتَّحليل التَّوجيهات القرآنيَّة والنَّبويَّة للتَّعامُل مع حالةٍ من حالات ذوي الاحتياجات الخاصَّة وهي حالةُ الصَّرع؛ ولهذا البحث أهميَّةٌ خاصَّة نظراً لانتشار حالات الصَّرع إلى يومنا هذا دون أنْ يكون لها علاجٌ كامل ونهائيّ ولاشتمال الطِّبِّ النَّبويّ على توجيهاتٍ دقيقة للتَّعامُل مع هذه الحالات. وإشكالية البحث تكمن في عدم التفات الباحثين إلى التَّوجيهات النبوية وعد الصَّرع من الأمراض الروحانية. واتَّبعَ الباحثُ المنهجَ الوصفيّ التَّحليليّ في تأويل الآيات والأحاديث الواردة بهذا الخُصُوص والهدف هو استخلاص قواعدَ ضمن إطار الطِّبِّ النَّبويّ للتَّعامُل مع المصابين بنوبات الصَّرع. وتوصَّل البحثُ إلى بعض النَّتائج المهمَّة، منها: اختيارُ النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم لمريض الصَّرع الصَّبرَ ونيل ثواب الجنَّة كان لحكمةٍ طبيَّة دقيقة؛ الصَّرعُ ليس إعاقةً عقليةً أو نفسيَّةً كالانفصام بل هو داءٌ بدنيّ يمكن السَّيطرة عليه بدقَّة التَّشخيص واتِّباع نظامٍ دوائيّ وغذائيّ محدَّد، وتشكِّل التَّوجيهاتُ القُرآنيَّة والنَّبويَّة مصدراً مهماً في تشخيص العلَّة والسَّيطرة عليها بالصَّبر والمتابعة.

كلماتٌ مفتاحيَّة: الاحتياجاتُ الخاصَّة. الصَّرع. التَّوجيهات القُرآنيَّة. التَّوجيهات النَّبويَّة. الإعاقة.

Abstract:

This research presents, through discussion and analysis, the Quranic and Prophetic guidance for dealing with individuals of special needs: epilepsy. This research is of particular importance given the continued prevalence of epilepsy today without a complete and definitive cure, and because Prophetic medicine contains precise guidelines for managing these cases. The problem statement lies in the researchers' failure to pay attention to prophetic guidance and their classification of epilepsy as a spiritual disease. The researcher employed a descriptive-analytical approach to interpret the relevant verses and hadiths aiming to derive principles within the framework of Prophetic medicine for dealing with those suffering from epileptic fits. The research reached several important conclusions, including: the Prophet peace and blessings be upon him didn't pray for epilepsy patients to be cured with a divine will but rather to be patient and receive the reward of Paradise, His recommendation based on precise medical wisdom; epilepsy is not a mental or psychological disability like schizophrenia, but rather a physical ailment that can be managed with accurate diagnosis and adherence to a specific medication and dietary regimen; and Quranic and Prophetic guidance constitutes an important resource in diagnosing and managing the condition through patience and consistent follow-up.

Keywords: Special Needs, Epilepsy, Quranic Guidance, Prophetic Guidance, Disability.

1. المقدمة

شكَّلت المحاورة بين النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وبين الصَّحابيَّة أمّ زُفر سعيرة الأسديَّة منعطفاً حاسماً في التَّعامُل مع حالة من حالات الإعاقة المزمنة وهي حالة الصَّرع، ووضعت ضوابط طبية ونفسية وأخلاقية للتعامل مع المصابين بنوبات الصَّرع، وصححت الوعي المجتمعي حول تقييم النَّوبات والمعتمد على تجارب روحية خاصة أو بعض الأساطير المنتشرة في الأوساط الشعبية. فقد خيَّر النَّبيّ عليه الصَّلاة الصَّحابيَّة بين أن يدعو لها فتشفى من هذه الحالة المؤذية، وبين أنْ تصبر وتدخل الجنَّة، فاختارت الصَّحابيَّة رضوانُ الله عليها أنْ تدخل الجنَّة! فقد رأت أنَّ الجنَّةَ أمنيةُ كلِّ مؤمن وهي الحياةُ الخالدة، أما الحياةُ الدنيا فقصيرةٌ وفانية ولكن سألت النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنْ لا ينكشف شيءٌ من جسدها عندما تصيبها نوبةُ الصَّرع، فاستجابَ عليه الصَّلاة والسَّلام لطلبها، وقد رآها ابنُ عبَّاس يوماً وهو برفقة عطاء بن أبي رباح، فقال له: ألا أُريك امرأةً من أهل الجنَّة؟ لأنَّها اختارت الجنَّة وأنْ تصبرَ على مرضها على أنْ يدعو لها الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام فتشفى. ولكن السُّؤال الذي يراودُ فكر المهتمِّين بعلاج هذه المرض المزمن هو: لماذا خيَّرها النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أصلاً ولم يدعُ لها بالشِّفاء التَّامّ والكامل، وقد دعا لغيرها من الصَّحابة في حالات أقلَّ شأناً من حالتها؟ فقد رأى الصَّحابيّ أبا أمامة مهموماً فعلَّمه دعاءً يذهب عنه الهمَّ ويقضي عنه الدَّين: "قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الهمِّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرِّجال، قال: ففعلتُ ذلك فأذهبَ اللهُ عزَّ وجلَّ همِّي، وقضي عني ديني". وهل تشكِّلُ هذه المحادثة دليلاً في الطِّبِّ النَّبويّ للتَّعامُل مع حالات الصَّرع كما شكَّلت المحاورة بين الصَّحابيَّة خولة بنت ثعلبة وبين النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حلاً لمشكلة الظِّهار؟ ونبدأ أولاً ببيان المحادثة التَّاريخيَّة والطبيَّة والإيمانيَّة العظيمة بين صحابيَّة أميَّة تبحث عن مرضاة ربِّها وهي تعاني الأمرَّين من نوبات الصَّرع وبين نبيّ الرَّحمة عليه الصَّلاة والسَّلام، ثم نثنِّي بالتَّوجيهات القُرآنيَّة في التَّعامُل مع نوبات الصَّرع فالحديثيَّة من منابعها الصحيحة والمعتمدة، وأخيراً نسعى إلى تحليل المحادثة تحليلاً علمياً لاستخلاص قواعد التَّعامُل مع نوبات الصَّرع.

2. إشكالية البحث

تشكل الأحاديث الواردة حول الصَّرع مرجعاً طبياً واجتماعياً ونفسياً مهماً في التَّعامُل مع المصابين بنوبات الصَّرع، وتتفق في جزئياتها مع معطيات علم النفس الحديث، وتعليماته الأخلاقية المجتمعية في التَّعامُل معهم ورعايتهم، ورغم ذلك لم تحظ التَّوجيهات النبوية بدراسة مناسبة، كما لم يتم الفصل بين التَّوجيهات النبوية الصارمة وما أفرزته بعض كتب الطب النبوي من تفسيرات وتصنيفات لحالات الصَّرع، والتي اعتمدت على تراث طبي خليط بين الطب اليوناني وبين المستفاد من الأحاديث النبوية الصحيحة وبين بعض التصورات الأرواحية الخاصة المستندة إلى تجارب شخصية لا يمكن تعميمها علمياً، ومن المؤسف أن السائد عند جمهور المسلمين الفهم الخرافي للصرع حيث ينظر إليه على نطاق واسع على أنه مس من الشيطان، ولا بد من عرض المصاب على الأرواحيين الخبراء في استخراج أشرار الجن من أجساد المصابين. ويسعى هذا البحث إلى استقراء التَّوجيهات النبوية أولاً وبيانها بالتحليل الدقيق، والمقارنة بين هذه التَّوجيهات النبوية وما ورد في بعض كتب الطب النبوي من تصنيفات لأنواع الصَّرع لا صلة لها بالتصنيف العلمي الحديث ووضعها تحت مجهر النقاش والنقد، ومن ثم الوصول إلى نتائج مناسبة تخدم الدراسة العلميَّة والموضوعية.

3. أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في عرض التَّوجيهات النبوية النفسية والاجتماعية والطبية لحالات الصَّرع والمتعلقة بالفرد المصاب، والمجتمع من حوله، وتحليلها تحليلاً علمياً في ضوء ما أفرزته التطورات العلميَّة لعلم النفس التجريبي، وفصل هذه التَّوجيهات النبوية عن بعض الآراء الخاصة لعلماء الطب النبوي حول نوبات الصَّرع والتي لا تستند إلى مرجعية قرآنية وحديثية واضحة. ولا تقتصر التَّوجيهات على العلاج الطبي والنفسي، بل تشمل معالجة ظاهرة اجتماعية فاسدة استمرت لقرون في المجتمعات الإسلامية ولا زالت بعض الجهات تغذيها لأغراض ومصالح مادية بحتة، وأهمية البحث تظهر في تجلية هذه الظاهرة، ودفع المجتمع لتغيير رؤيته السلبية، والمشاركة الإيجابية في رعاية المصابين بنوبات الصَّرع والقضاء نهائياً على المنابع الاجتماعية المظلمة للخرافة والتضليل الممنهج.

4. أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

i. تعريف نوبات الصَّرع علمياً وحديثياً وتوضيح الإشكالات المتعلقة به.
ii. بيان التَّوجيهات النبوية المتعلقة بالطب والعلاج الدوائي للمصابين بنوبات الصَّرع.
iii. بيان التَّوجيهات النبوية المتعلقة بتصحيح التفسيرات الشعبية الخاطئة حول المصابين بنوبات الصَّرع، وتصحيح الوظيفة الفردية والمجتمعية تجاههم.
iv. بيان التَّوجيهات النبوية المتعلقة بالجانب الشخصي للمصاب بالنوبات وتنظيم فكره وسلوكه إيمانياً وتربوياً.
v. الفصل بين التَّوجيهات النبوية وما ورد في بعض كتب الطب النبوي حول الصَّرع وتصنيفاته والتي لم تستند في مرجعيتها إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة بطريقة واضحة.

5. منهج البحث

اعتمد البحث المنهج الوصفي في عرض البيانات الحديثية المتعلقة بحالات الصَّرع، ودراستها في ضوء المعارف الحديثة لعلم النفس التجريبي، وذلك بالرجوع إلى المصادر الحديثية الموثوقة والمعتمدة، والمراجع الطبية الموثوقة. والمنهج التحليلي النقدي في مناقشة تصورات قديمة حول نوبات الصَّرع في بعض كتب الطب النبوي المشهورة والمتداولة في الأوساط الاجتماعية والطلابية والتي قد تشكل عائقاً علاجياً، واستخلاص ضوابط طبية علاجية، وتوجيهات أخلاقية للمجتمع، وقواعد نفسية للمصابين تعينهم على التعافي والسيطرة عقلياً ونفسياً على العواقب الاجتماعية الكارثية لهذه النَّوبات.

المبحث الأوَّل: حديثُ أمِّ زُفر وتحليل نوبات الصَّرع في كتب الطبّ النبويّ

المطلب الأول: حديث أم زفر

ورد حديث أم زفر في كتب الصحاح والسنن والمسانيد وكلها متشابهة من حيث المعنى ومدارها على يحيى بن سعيد، وألفاظها متقاربة، واخترنا رواية البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عِمْرَانَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ: «أَنَّهُ رَأَى أُمَّ زُفَرَ تِلْكَ امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ، عَلَى سِتْرِ الكَعْبَةِ». (البخاري، 1422 هـ).

والحديث رواه مسلم بسنده عن القواريري: "حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَبِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ،

قَالَا: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» قَالَتْ: أَصْبِرُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا". (مسلم، 2019).

ورواية الإمام أحمد عن يحي بن سعيد مباشرة: "حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عِمْرَانَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: قُلْتُ بَلَى، قَالَ: هَذِهِ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَأَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ، وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ، دَعَوْتُ اللهَ لَكِ أَنْ يُعَافِيَكِ، قَالَتْ: لَا، بَلْ أَصْبِرُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ – أَوْ لَا يَنْكَشِفَ عَنِّي – قَالَ: فَدَعَا لَهَا. (ابن حنبل، 2001م). ولا توجد فروقات تذكر في الروايات بالأسانيد المختلفة في كتب الصحاح والمسانيد، والحديث رواه النسائي في السنن الكبرى (النسائي، 2001م). ورواه الطبراني في المعجم الكبير (الطبراني، 1994م). ورواه البيهقي في شعب الإيمان (البيهقي، 2003م). والألفاظ فيها متطابقة أو متقاربة جداً، ومدار الحديث على يحي بن سعيد.

المطلب الثاني: تعريف الصَّرع علمياً وفي كتب الطب النبوي

قبل تعريف الصَّرع نعرج على تعريف الإعاقة والمعاق للوصول إلى التصنيف المناسب للمصاب بنوبات الصَّرع في قائمة الإعاقة الطويلة؛ فهناك إعاقة عامة تستدعي المساعدة الخارجية لصديق أو مؤسسة لتسهيل ظروف حياة المعاق، وهذا الصنف من المعاقين كثر في المجتمع بل لا يخلو فرد من الاحتياج إلى عون بغض النظر عن طبيعة هذا العون. أما الإعاقة الخاصة حسب تعريف اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، فالمعاقون: "هم الذين يعانون من مشاكل جسدية أو عقلية أو فكرية أو حسية طويلة الأمد، والتي قد تعيق مشاركتهم الكاملة والفعالة في المجتمع على قدم المساواة مع الآخرين". (الأمم المتحدة لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، 2006م).

والصَّرع حسب التَّعريف الطِّبيّ مرضٌ دماغي يعرف بنوبتين انعكاسيتين تفصل بينهما أكثر من 24 ساعة. وله أنواع أربعة: الصَّرع المعمّم، والبؤري، والمعمّم والبؤري المشترك، والصَّرع غير المعروف. وله مستويات متعدِّدة تعتمد على نوع النَّوبة ونوع الصَّرع ومتلازمة الصَّرع. ويسهم التَّخطيط الكهربائي للدِّماغ وفحوصات أخرى في معرفة مستويات الصَّرع وتصنيفه، كما ينبغي دراسة الصَّرع منذ البداية وفي كلِّ خطوة من خطوات التَّشخيص، لمعرفة الأسباب التي تسهم في معرفة نوع العلاج. (الموقع الرَّسمي لتشخيص الصَّرع. تصنيف الصَّرع). وفي هذا التَّعريف الطِّبيّ لا يعني قولهم (مرض دماغي) أنَّ الصَّرع إعاقة عقليَّة، فالنَّوبات لا تسبِّب تلفاً في خلايا الدِّماغ، إذ يعود طبيعياً بعد انتهائها، ومقصدهم أنَّ الصَّرع متعلِّق بالخلايا الكهربائيَّة في الدِّماغ وهي الخلايا العصبيَّة المعروفة بالعصبونات، وتتواصل هذه الخلايا باستخدام إشارات كهربائيَّة وكيميائيَّة على شكل نبضات.

وأما ابن القيم فقد قسم الصَّرع إلى نوعين: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، وصنف الصَّرع المذكور في الحديث في قسم صرع الأخلاط الرديئة وإن لم يمنع كونه من صرع الأرواح الخبيثة (ابن القيم. 1377 هـ). وأراد بالنوع الأول ما يسمى بتلبس الجن، فأثبته وذكر بعض القصص عن تلبس الجن عن بعض شيوخه، وحمل ابن

القيم حملة شعواء على منكري هذا النوع من الصَّرع ووصفهم بالزنادقة والسفلة من جهلة الأطباء، وسخط على تأويلات جالينوس التي حصرت الصَّرع في النوع الثاني فقط ونفت حدوث شيء من تلبس الشياطين. ولا يخفى أن ابن القيم يميل إلى العلاج الأرواحي للصرع ويجعله طباً نورانياً وإيمانياً مقابل تصنيف الزنادقة المادي، وبحثهم عن العلاج في الأدوية والأعشاب.

ثم عرَّف ابن القيم صرع الأخلاط بأنه: "عِلَّةٌ تَمْنَعُ الْأَعْضَاءَ النَّفْسِيَّةَ عَنِ الْأَفْعَالِ وَالْحَرَكَةِ وَالِانْتِصَابِ مَنْعًا غَيْرَ تَامٍّ، وَسَبَبُهُ خِلْطٌ غَلِيظٌ لَزِجٌ يَسُدُّ مَنَافِذَ بُطُونِ الدِّماغ سَدَّةً غَيْرَ تَامَّةٍ، فَيَمْتَنِعُ نُفُوذُ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ فِيهِ وَفِي الْأَعْضَاءِ نُفُوذًا تَامًّا مِنْ غَيْرِ انْقِطَاعٍ بِالْكُلِّيَّةِ، وَقَدْ تَكُونُ لِأَسْبَابٍ أُخَرَ كَرِيحٍ غَلِيظٍ يُحْتَبَسُ فِي مَنَافِذِ الرُّوحِ، أَوْ بُخَارٍ رَدِيءٍ يَرْتَفِعُ إِلَيْهِ مِنْ بَعْضِ الْأَعْضَاءِ، أَوْ كَيْفِيَّةٍ لَاذِعَةٍ، فَيَنْقَبِضُ الدِّماغ لِدَفْعِ الْمُؤْذِي، فَيَتْبَعُهُ تَشَنُّجٌ فِي جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْقَى الْإِنْسَانُ مَعَهُ مُنْتَصِبًا، بَلْ يَسْقُطُ، وَيَظْهَرُ فِي فِيهِ الزَّبَدُ غَالِبًا" (ابن القيم، 1377 هـ)؛ وهذا التعريف مستند في الأساس إلى كتب جالينوس وأبقراط وإضافات الحكيم ابن سينا، والتَّشخيص لا يخلو من دقة في وصف النَّوبة وتداعياتها، ويتفق مع التعريفات الطبية المعاصرة في حدوث اختلاط في الدِّماغ، إلا أن المسببات التي ذكرها افتراضية في بعضها، ولعل أحسنها "بخار رديء" الذي يشبه أن يكون الموجات الكهربائية في الخلايا العصبيَّة، فالأطباء القدامى لم يتيسر لهم الكشف الدقيق عن الخلايا العصبية التي تنقل الإشارات الكهربائية والكيميائية لتنسيق التفكير والحركة والحس، والتي تعمل ضمن الجهاز العصبي المركزي المتمثل في الدماغ والحبل الشوكي، ولم يتسنَّ لهم معرفة وظائف الجهاز العصبي في التحكم الإرادي في التفكير والكلام وحركة العضلات، والتحكم اللاإرادي في التنفس والهضم ونبضات القلب، لذلك تشكل عباراتهم حول الهواء الساخن والبخار الرديء محاولات مستميتة للكشف عن الموجات الكهربائية والكيميائية. حتى أن جالينوس الحكيم وصف السعوط والعطوس والشموم بعصارة بخور مريم كعلاج للبخار المتصاعد إلى الدماغ وحرارته العالية لأنه يخرج الهواء وينقي الدماغ من المنخرين! (أبو بكر الرازي، 2002م)

أما ما عبر عنه بالخلط اللزج الذي يسد منافذ بطون الدِّماغ فهو أقرب إلى الجلطة الدِّماغية، حيث تسبب الدهون اللزجة انسداداً في بعض الأوعية الدمويَّة وتمنع وصول الدم إلى الدِّماغ، وهذا بعيد عن نوبات الصَّرع وتشخيصها الطبي الحديث. أما ما قاله عن الريح الغليظة التي تحتبس في منافذ الروح فخارج تماماً عن تعريف داء الصَّرع، وهو يصب في اعتقاد ابن القيم بمسألة التَّلبُّس بالجن ودفاعه المتقد والحانق عنه، وتصنيفه التَّلبُّس نوعاً من أنواع الصَّرع يغذي المعتقدات الشَّعبيَّة حول هذا الدَّاء، ويسبب إشكالات كثيرة في طريقة التَّداوي، ويخلط الإعاقة البدنيَّة بالأرواحيات التي تشكل منفذاً شرعياً للدجالين ومدعي الطب ليحشروا أنفسهم في حالة طبية خالصة ويعالجوها بالتمائم والتعويذات.

المبحث الثاني: التَّوجيهات القُرآنيَّة والنبوية لذوي الاحتياجات الخاصَّة من المصابين بنوبات الصَّرع

المطلب الأول: التَّوجيهات القرآنية

القرآنُ الكريم كتاب هداية للعالمين إلى يوم الدِّين، وهو رسالةٌ خالدة من ربِّ العالمين لإصلاح شؤون العباد في الدُّنيا ونجاتهم في الآخرة، وكما أنَّه حوى من ألوان الهداية والتَّشريعات والنُّظم العقائديَّة والأخلاقيَّة فإنَّه حوى من الإعجاز العلمي الصَّريح ما خضعت له رقابُ العلماء والمتخصِّصين، وحوى إشارات علميَّة في الطِّبِّ منْ وقف عندها وأنعم النَّظر فيها خرج بزادٍ

عظيم ونفعٍ عميم. ويعدُّ قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155-157]، إرشاداً عاماً ودقيقاً حول كيفيَّة التَّعامُل مع مرضى الصَّرع، فالنَّقص في الأنفس يشمل حالات الصَّرع وليس مقتصراً على الشَّهادة والموت كما ذكر بعضُ المفسِّرين (الماوردي، 1446 هـ؛ وابن الجوزي، 1422 هـ)، لأنَّ الصَّرع ينفي كمالَ الأنفس، كما أنَّ البُشرى للصَّابرين تمَّ تأكيدها من النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في الحديث حين خيَّر أمَّ زفر بين الصَّبر والشِّفاء ووعدها بالجنَّة إذا صبرت؛ فالآية الكريمة فيها توجيهٌ واضح حول بيان الصَّرع وأنَّه ابتلاء من ربِّ العالمين، وأنَّ المبتلى الصَّابر ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة. قال النَّسفي في نقص الأنفس: "بالقتل والموت أو بالمرض والشَّيب!" (النسفي، 1998م).

وآيات الابتلاء والصَّبر كثيرة، منها: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186]. و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 94]. و: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 165]. و: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 168]. و: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: 7]. و: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: 7، 8]. وهذه الآيات الكريمة تعمَّ حالات ذوي الاحتياجات الخاصَّة على اختلافها، كما تشمل حالة نوبات الصَّرع.

وتبدو التَّوجيهات القرآنيَّة في الآيات السَّابقة في مجملها عامَّة وإن كانت تحمل دلالات قويَّة في بعضها، كما في الآيات 155-157 من سورة البقرة حيث يظهر التَّطابُق بين الآية وحديث أمّ زفر، والكلمات المفتاحيَّة فيهما مرتكزة على الابتلاء في النَّفس والصَّبر وبشارة الصَّابرين، خاصَّة وأنه لا يوجد سببٌ مباشر لنزول الآية ما يجعلها معلماً قرآنياً في التَّعامُل مع حالة من حالات ذوي الاحتياجات الخاصَّة، وقد ذكر ابن الجوزي الخلاف في سبب النُّزول ولم يرجِّح شيئاً منها: "وفيمن أُريد بهذه الآية أربعة أقوال، أحدها أنهم أصحاب النَّبي خاصَّة، قاله عطاء. والثَّاني أنهم أهل مكَّة. والثَّالث: أنَّ هذا يكون في آخر الزَّمان. قال كعب: يأتي على النَّاس زمانٌ لا تحملُ النَّخلة إلا تمرة. والرَّابع: أنَّ الآية على عمومها" (ابن الجوزي، 1422 هـ).

المطلب الثاني: تحليل التَّوجيهات النَّبويَّة

يشكل حديث أمِّ زفر مرجعاً طبياً وأخلاقياً لكيفية التَّعامُل مع حالة من حالات ذوي الاحتياجات الخاصة ألا وهم الذين يعانون من نوبات الصَّرع، ويظهر تعاطف نبي الإسلام صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مع إحدى المصابات، ويوضح بتوجيهات

مباشرة وغير مباشرة الخطوات الواجب اتباعها معهم، وقد قسمنا هذه التَّوجيهات إلى أربع مسائل تعالج كل واحدة منها جانباً طبياً أو أخلاقياً، وهي:

المسألة الأولى: لو أراد النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يدعو لأمٍّ زفر لشفيت، لكنَّه أقرَّ بصنيعه الحكيم معها أنَّ مرض الصَّرع ليس إعاقة عقليَّة أو نفسيَّة، بل إعاقة جسديَّة، في وقت كان النَّاس ينظرون فيه إلى المصاب بنوبات الصَّرع على أنه مصابٌ بمسٍّ من الجنّ ولا زال كثير من المغفَّلين إلى يومنا هذا يشخِّصون هذا المرض على أنه مسّ الشَّيطان، ويستأنسون بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41]، ووجدوا في تهاويل بعض المفسرين لمرض النَّبيّ أيوب دلالةً على المسّ الشَّيطاني حيث زعم بعضهم أنَّ أيُّوب: "ابتلى سبع سِنِين وأشهراً فَألْقى على كناسَة بني إِسْرَائِيل تخْتَلف الدَّوَابّ فِي جسده" (السّيوطي، 2011)! ونرى أنَّه ليس من اللائق بنبيّ كريم أن يُلقى على مزبلةٍ وأنْ تنهشه الدِّيدان وتعبث به الصَّراصير والفئران وكلُّ الأساطير عن مرضه لا أساس لها من الصِّحَّة! والحاصل أنه لا يوجد مسّ من الشيطان على الإطلاق، وقد ذكر الشَّوكاني عدَّة أوجه في تخريج إسناد المسّ إلى الشَّيطان رغم أنَّ الابتلاء من الله عزَّ وجلّ، منها أنَّ ذلك من باب الأدب بعدم إسناد الشر إلى المولى، أو العجب بالنَّفس والمال وكلاهما من وساوس الشَّيطان، أو أنَّ الشَّيطان كان يحسّن له الجزعَ وعدم الصَّبر على الابتلاء، أو أنَّ قوم أيُّوب استمعوا لوسوسة الشَّيطان فأخرجوا النَّبيّ الكريم من ديارهم، وأكَّد أنَّ ذلك الابتلاء هو إرشادٌ لرسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليقتدي به في الصَّبر على المكاره، وهذا يعني استبعاد فرضيَّة أنَّ أيُّوب استحسن وسوسة الشَّيطان فجزع ولم يصبر! (الشَّوكاني، 1414 هـ).

وهذه الفرضيَّة الفاسدة تجدُ ما يؤكِّدها في سفر أيُّوب في التَّوراة، حيث نجد النَّبيَّ أيوب يخرج عن طوره ويتحدَّثُ بغضب إلى صحبه ويشتكي من اختياره هو لهذا الابتلاء دون غيره، وصحبُهُ يدعونه إلى التَّحلي بالصَّبر والإيمان وهم أقلُّ شأناً منه بكثير، وحظي هذا الحوار (الإنساني) باهتمام الأدباء الغربيين ليبرروا غضبهم على الله وتخليهم عن تعاليمه، وليست المحاورة سوى صناعةٍ بشريَّة محرفة لكلام الله وحكمته وعصمة أنبيائه (العهد القديم. سفر أيُّوب).

فالإرشاد النبوي العظيم يظهر سبق الطب النبوي لعصره في النظرة الطبية إلى حالات الصَّرع وتصنيفها ضمن الإعاقات البدنيَّة، وإخراجها من خانة الخرافات الشَّعبيَّة التي دفعت العوام الجهلة إلى السخرية من المصروعين بل وإلحاق الأذى بهم، وضربهم وتعذيبهم بحجة إخراج الأرواح الشريرة من أبدانهم، وكانت هذه المعاملة اللاإنسانية منتشرة في أنحاء العالم قبل البعثة وبعدها، وكانت أوروبا في عصورها المظلمة تجد في أولئك البؤساء مادة ثرية لممارساتها الوحشية وتأكيد تفسيراتها الخرافية لمرض بدني لا علاقة له بتخلف عقلي أو تقمص شيطاني. وهذا الإرشاد يعني أن الصَّرع له علاج ودواء طبي، إذ لا يمكن أن يحرم النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم تلك المرأة المعذبة من دعائه إلا لعلمه أن هذه العلة لها دواء وإن لم يكن معروفاً في وقته، فقد قال عليه الصَّلاة والسلام: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ دَوَاءً إِلَّا السَّامَ» (عبيد، 1999م)؛ والسام هو الموت، وفي بعض روايات الحديث "إلا الهرم"، فهذا دليل على أن الصَّرع من جملة الأمراض التي أنزل الله تعالى لها دواء في بعض الأعشاب أو الفواكه أو الخضروات وغيرها، وما على الأطباء إلا الاجتهاد للعثور عليها واستخلاص الدَّواء منها.

ولا يبدو أن ابن القيم حالفه التوفيق حين فسر التخيير بين الشفاء والجنة أو الصبر والستر في حديث أم زفر، فقال: "وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَرْكِ الْمُعَالَجَةِ وَالتَّداوي، وَأَنَّ عِلَاجَ الْأَرْوَاحِ بِالدَّعَوَاتِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ يَفْعَلُ مَا لَا يَنَالُهُ عِلَاجُ الْأَطِبَّاءِ، وَأَنَّ تَأْثِيرَهُ وَفِعْلَهُ، وَتَأَثُّرَ الطَّبِيعَةِ عَنْهُ وَانْفِعَالَهَا أَعْظَمُ مِنْ تَأْثِيرِ الْأَدْوِيَةِ البدنيَّة، وَانْفِعَالِ الطَّبِيعَةِ عَنْهَا، وَقَدْ جَرَّبْنَا هَذَا مِرَارًا نَحْنُ وَغَيْرُنَا، وَعُقَلَاءُ الْأَطِبَّاءِ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ لِفِعْلِ الْقُوَى النَّفْسِيَّةِ، وَانْفِعَالَاتِهَا فِي شِفَاءِ الْأَمْرَاضِ عَجَائِبُ، وَمَا عَلَى الصِّنَاعَةِ الطِّبِّيَّةِ أَضَرُّ مِنْ زَنَادِقَةِ الْقَوْمِ، وَسِفْلَتِهِمْ، وَجُهَّالِهِمْ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ صَرَعَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ كَانَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الْأَرْوَاحِ، وَيَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَيَّرَهَا بَيْنَ الصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ مَعَ الْجَنَّةِ، وَبَيْنَ الدُّعَاءِ لَهَا بِالشِّفَاءِ، فاختارت الصبر والستر" (ابن القيم، 1377 هـ)، فليس في الحديث ما يشير إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى جواز ترك المعالجة والتَّداوي لسبب بسيط وهو أن العلاج والدَّواء لم يكن متوافراً أصلاً حتى تختار المرأة بين الدَّواء وبين الصبر، وإنما الاختيار كان بين الشفاء ببركة دعاء الرسول أو الصبر والستر والفوز بالجنة، وتأويل ابن القيم رحمه الله يتعارض مع التَّوجيهات النبوية الثابتة الداعية إلى التَّداوي وعدم الاقتصار على الدعاء والرجاء إلا إذا انقطع الأمل من الأطباء وأدويتهم، ومن ترك التَّداوي وهو قادر عليه فهو آثم يلحق الضرر بنفسه، وربما ينتهي به الأمر إلى الهلاك أو الإعاقة الدائمة. أما التجارب التي أشار إليها ابن القيم فأغلبها متعلق بأمراض ناشئة عن الوهم، وليست أمراضاً جسدية تستدعي العلاج بالأدوية والأعشاب الطبية، وقد غالى حين صنف حالة أم زفر في خانة الأرواحيات وخرج عن التشخيص الطبي الصحيح، فلا يوجد اليوم في التشخيص الطبي المعاصر صنفان من حالات الصَّرع أرواحي وبدني، وبناء على ذلك فإن أية محاولة لعلاج المصاب بالصرع على أنه تلبس جني ضرب من الجنون وجلب لمتاعب لا تعدّ ولا تحصى للمريض خاصة وأن أكثر القائمين على هذا النوع من العلاج الروحي محتالون ولا يحملون أية شهادة طبية وسيرتهم لا تدل على أنهم صالحون وأتقياء. ومن الأهمية بمكان الفصل بين الزندقة وبين الطب القائم على التجربة والعلاج المختبري الخالص، فليس صحيحاً أن استبعاد العلاج الروحي من قبل جالينوس أو أطباء النفس المعاصرين دليل على زندقتهم وكفرهم بالأديان وقوة النصوص القرآنية في تحقيق العلاج النفسي، لأن الطب النفسي اليوم ينحى منحى مختبرياً وتجريبياً. ومن المهم كذلك إدراك أن التصنيفات الفلسفية للأمراض ولت إلى لا رجعة، ولم يعد للقياس والمنطق العقلي الخاص – الذي هيمن على كتابات الفيلسوف الإغريقي أرسطو الطبية قديماً – مكان في المستشفى والصيدلية، وحلت محلها المختبرات والتجارب الميدانية الحذرة والدقيقة، ولم يعد هناك أطباء تخرجوا من القراءة النظرية لكتاب القانون وكتب جالينوس، وأضحت الأولوية للممارسة العملية.

المسألة الثانية: وهي متفرعة عن الأولى، فالمصاب بالصرع ليس متخلفاً عقلياً ولا يعاني مرضاً نفسياً يستوجب حبسه في دار رعاية نفسية كالمصابين بحالات الانفصام الشديد والتي تحولهم إلى خطر على عائلتهم ومن حولهم، فإعاقة المصاب بالصرع بدنية وهو خارج النَّوبات شخص سوي، بل يمكن أن يكون شخصاً مميزاً ومبدعاً كذلك، فالروائي الروسي الكبير فيودور دوستويفسكي كان مصاباً بالصرع، وما كان يملك السيطرة على النَّوبات القاسية للصرع أمام زوجته والعامة، لكنه أجبر العالم على احترام قدراته الأدبية الرفيعة، وتحليلاته النفسية العميقة للنفس الإنسانية، ورؤيته الدينية الصارمة، وتصويره للمعاناة والألم والقسوة، وقدم للإنسانية أعمالاً مجيدة مثل الجريمة والعقاب، والإخوة كارامازوف، والليالي البيضاء، والمقامر،

والأبله، وذكريات من بيت الموتى وغيرها من القصص والروايات التي حازت على إعجاب الأدباء والمفكرين والفلاسفة وحتى علماء النفس، فترجمت أعماله إلى لغات عالمية كثيرة.

فالنبي عليه الصَّلاة والسلام من خلال محاورته مع أم زفر، ودعوته لها، أثبت هذا التَّشخيص الطبي الرفيع، ودعا الناس للنظر إلى المصاب بالصرع نظرة صحيحة مبنية على فهم الحالة المرضية، وبالتعامل معها على أنها نوبات مؤقتة لا تلبث أن تزول ويعود المصاب بعدها إلى وضعه الطبيعي، ولكنه يحتاج تعاطفاً ومعاملة رحيمة خلال النَّوبات التي لا يملك السيطرة عليها ومنعها. والعجب كل العجب من بعض المستشرقين الذين قرأوا معاملة النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأم زفر فلم يقدروا توجيهاته، بل سولت لهم أنفسهم أن يتهموا النَّبيّ نفسه بالمعاناة من نوبات الصَّرع، وقدموا هذه الفرضية كتفسير لظاهرة الوحي وتجلياتها النورانية، فزعموا أن الحالات التي كانت تأتيه عليه الصَّلاة والسلام من التعرق والارتجاف وثقل البدن أثناء تلقيه للوحي هي أمارات على نوبات الصَّرع! وخفف مستشرقون آخرون هذه الاتهامات من الصَّرع إلى حالة العصاب والاضطراب النفسي التي وهبته الكاريزما الخارقة ليقود أمة بأسرها خلفه! أو إلى الخيالات والأوهام وحديث النفس، وقد عرض مونتغمري وات التأويلات المختلفة للوحي عند الغربيين ووضعها جنباً إلى جنب مع الفهم الإسلامي لظاهرة الوحي، وخلط الحابل بالنابل في فصل من كتابه (محمد في مكة) بعنوان: أشكال وعي محمد – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – بنبوته. (مونتغمري وات، 1953).

المسألة الثالثة: دعاء النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالستر له دلالات عميقة، فالمرأة العفيفة كانت حريصة على ألا يظهر من جسمها شيء حين تأتيها نوبات الصرعات في الأماكن العامة فرضيت بالصبر على المرض ولكن سألت الرسول الرحيم أن يدعوا لها ألا تنكشف عورتها فدعا لها. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: إذا حظيت أم زفر بدعوة النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فما بال المصابين بالصرع اليوم، من يدعو لهم ولهن حتى لا تنكشف عوراتهم وعوراتهن أمام الخلق؟ والإجابة تكشف عن الإرشاد النبوي في أن يحاط المصاب بالصرع بالعناية الدائمة بأن يكون معه شخص ملازم له يتابع حالته ويدون بدقة التطورات نوبة بنوبة، فأم زفر ربما لم تجد من يعتني بها ويراقب أحوالها ويكون معها في مصابها لأنها لم تتزوج في الغالب فالرجال يتجنبون الزواج عادة من المصابات بنوبات الصَّرع، فلم يكن معها زوج رؤوف يعطف عليها ولا أولاد بررة لا يفارقونها، لذلك سألت النَّبيّ الدعاء، أما ما سواها من الحالات فالرسول عليه الصَّلاة والسلام يدعو بشكل غير مباشر إلى إحاطتهم بالعناية والرعاية حتى لا يؤذوا أنفسهم أثناء النَّوبة، وحتى لا تنكشف عوراتهم كذلك، فإعاقتهم بدنية تستدعي الرعاية الطبية والاجتماعية.

وهذا توجيه طبي واجتماعي من النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فالإعاقة البدنيَّة مثل الشلل على سبيل المثال، تجبر المريض على استخدام كرسي متحرك، ويحتاج إلى المساعدة الدائمة أثناء الأكل وتغيير الملابس وقضاء الحاجة والخروج للتنزه، وهكذا المصاب بالصرع حالته إعاقة بدنية مؤقتة وليست دائمة كالشلل، والرعاية التي يحتاجها أقل بكثير من التي يحتاجها المصاب بالشلل أو الزهايمر، إلا أنها خاصة ومبنية على تشخيص دقيق لحالته، ومراقبة أحواله وأوقات إصاباته بالنوبة، ومحاولة التنبؤ بالنوبة قبل حدوثها أو تأخيرها باتباع نظام غذائي صارم وحمية طبية.

المسألة الرابعة: وهي لفتة اجتماعية ومعالجة نفسية من النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من جهة، وتجاوب كامل من الصحابية الصابرة رضي الله عنها من جهة أخرى، فقد وصاها النَّبيّ عليه الصَّلاة والسلام بالصبر ورضيت بهذه القسمة، وفي هذا تعليم للمصابين بنوبات الصَّرع على المجاهدة والعزيمة وعدم الاستسلام للهواجس السلبية ووساوس النفس وسخريات الناس الجهلة، والتزام الذكر والدعاء فإنَّ ذلك يجلب الراحة النفسية التي هي الخطوة الأولى والأهم في العلاج، فثقة المريض المصاب بالصرع بنفسه وقدراته ومغالبته لحالات الضعف التي يمر بها وقسوة نوبات الصَّرع التي تصرعه تعطيه شحنة إيجابية لا يمكن للأطباء والمصلحين والوعاظ أن يهبوها له، وفي الحديث أن ابن عباس رأى أم زفر متعلقة بأستار الكعبة تدعو لنفسها وتلجأ إلى خالقها ليخفف عنها ويمنحها الصبر والعزيمة، فهي قد رضيت بتحمل الابتلاء لنيل الجائزة العظيمة في دخول النعيم الأزلي، إلا أنها طمعت في عطف المولى وألطافه الخفية فلجأت إليه في أقرب المواطن إلى إجابة الدعاء، وابتهلت إلى الخالق الرحيم أن يخفف عنها ويلطف بها.

وعلى المصابين بنوبات الصَّرع أن يصبروا على ما ابتلاهم الله به، وأن يلجؤوا إليه لتخفيف وطأة هذا المرض، فنبي الله الصبور الحليم نوح دعا قومه إلى الالتجاء إلى الله فقال: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: 50]، ونبي الله إبراهيم قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80]، والقرآن الكريم شفاء لكل مهموم وموجوع ومؤمن صابر على المحن، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]. ومن أشهر أقوال الطبيب والفيلسوف ابن سينا والمتفقة تماماً مع التَّوجيهات النبوية: الوهم نصف الداء، والاطمئنان نصف الدواء، والصبر أول خطوات الشفاء، وهذه المقولة غير محصورة في الأمراض النفسية وتصدق على الأمراض البدنية، فالصبر عامل نفسي مهم يرفع من قدرة الجسم على المقاومة حتى مع أشد الأمراض فتكاً (السرطان)، فالتوتر والاكتئاب يضعفان الجهاز المناعي، ويزيدان من عتبة الألم.

6. الخاتمة ونتائج البحث

يشكل حديث أمِّ زفر معلماً أخلاقياً وطبياً في واحدة من الحالات المعقدة لذوي الاحتياجات الخاصة، ألا وهي حالة المصابين بنوبات الصَّرع لما حواه من توجيهات نبوية رحيمة تضع الأساس للخطوات الطبية الواجب اتباعها مع المصابين بالصرع، والأساس للضوابط الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها المجتمع تجاههم.

لا يوجد توافق تام بين التَّوجيهات المستنبطة من هذا الحديث ومع ما يعرف بالطب النبوي، لاعتماد الأخير على مصادر طبية مختلفة إضافة لما تمليه بعض الاعتبارات الشخصية والآراء الخاصة حول أنواع الصراع وطرق علاجه، إلا أن هذا الخلاف لا يقلل من أهمية كتب الطب النبوي والأدلة العامة التي يستدل بها.

الصَّرع ليس إعاقة عقلية أو مرضاً نفسياً مزمناً، بل خلل في الخلايا العصبية للدماغ لا يؤثر على المقدرات العقلية، ووجود حالات نبوغ وعبقرية بين المصابين بالصرع مؤشر واقعي على أن الصَّرع إعاقة بدنية مؤقتة مؤلمة وقاسية تستدعي رعاية المجتمع، وتحث على إيجاد علاج نهائي وحاسم له.

عدم دعاء النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأم زفر لم يكن تخييراً لها بين العلاج أو الصبر لعدم وجود دواء أو إرشادات طبية واضحة للمصابين حينها، وإنما كان تخييراً بين الصبر والستر والفوز بالجنة أو الشفاء؛ وفيه إشارة إلى أن المرض ليس مستعصياً على العلاج فكل داء له دواء إلا الهرم والموت.

علاج الصَّرع يتم عبر خطوات علاجية منتظمة تبدأ بالحمية الغذائية وبعض الأدوية الطبية، وتنتهي بالراحة النفسية التامة والمتابعة الدائمة، وتكتمل الراحة النفسية بتلاوة القرآن والاستماع إليه، وتخصيص أوقات يومية للذكر والعبادة، فالقرآن الكريم كتاب هداية وعقيدة وشريعة وأخلاق وإعجاز علمي وشفاء روحي.

المصادر والمراجع

Al-Baihaqī, Ahmad bin al-Hussein bin ‘Alī bin Musa al-Khurāsanī, Shu’ab al-Imān (Riyādh: Maktabat al-Rushd, 2003, 1st Edition)

Al-Bukhārī, Muhammad Bin Isma’īl, Al-Jāmi’ al-Sahīh al-Mukhtasar min Umur Rasul Allāh Sallallāhu alīhi wa Sallam wa Sunanih wa Ayyāmih (Egypt: Dar Tauq al-Najāt, 1422 AH 1st Edition).

Al-Jawzīyyah, Muhammad ibn Abi Bakr bin Ayyub ibn al-Qayyim, Al-Tib Al-Nabawī (Beirut: Dārul Hilāl. 1377 AH).

Al-Māwardī, ‘Alī bin Muhammad al-Basrī, Al-Nukat wal ‘Uyun (Beirut: Dār al-Kutub al-“ilmīyyah.1446 AH, 1st Edition).

Al-Nasafī, Abul Barakāt Abdullāh bin Ahmad, 1998. Madarik al-Tanzīl wa Haqā’iq al-Ta’wīl (Beirut: dārul Kalim al-Tayyib, 1998, 1st Edition).

Al-Rāzī, Abu Bakr Muhammad bin Zakarīyyāh, Al-Hawī fi al-Tibb (Beirut: Dār Ihyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 2002, 1st Edition).

Al-Shawkāni, Muhammad bin ‘Alī al-Yamani, Fathul Qadīr (Damascus/Beirut: Dar ibn Kathīr, Dār al-Kalim al-Tayyib, 1411 AH 1st Edition).

Al-Siyutī, Jalāluddīn Abdulrahmān bin Abi Bakr, Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsīr bil Ma’thur (Beirut: Dārul Fikr).

Al-Tabarānī, Sulaiman bin Ahmad bin Ayyub bin Matīr al-Lukhamī al-Shāmī, Al-Mu’jam al-Kabīr. (Cairo: Maktabat ibn Taymīyyah, 1994, 2nd Edition).

Annasā’ī, Ahmad bin Shu’aīb al-Khurasānī, Al-Sunan al-Kubrah (Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 2001, 1st Edition).

Epilepsy Classification. (n.d.). www.epilepsydiagnosis.org. Retrieved December 1 C.E., from https://www.epilepsydiagnosis.org/epilepsy/epilepsy-classification-groupoverview.html

Ibn al-Jawzī, Abul Faraj Abdulrahmān bin ‘Alī, Zādul Masīr fil ‘Ilm al-Tafsīr (Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1422 AH, 1st Edition.

Ibn Hanbal, Ahmad Bin Muhammad bin Hilāl al-Sheibāni, Musnad al-Imām Ahmad (Beirut: Mu’ssasat al-Risālah, 2001, 1st Edition).

Muslim, Abu al-Hasan Muslim bin al-Hajjāj al-Neisāburī, Sahih Muslim (Beirut: Dār ‘Ihyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 2019).

Obeid, Muhammad Abdulkarīm, Takhrīj al-Ahādīth al-Marfu’ah al-Musnadah fi Kitāb al-Tārikh al-Kabīr lil Bukhari (Riyādh: Maktabat al-Rushd, 1999, 1st Edition).

Watt, William Montgomery, Muhammad fi Makkah. Translated by: Abdulrahmān Abdullāh al-Sheikh (Cairo: al-Hai’ah al-Misriyyah al-‘Ammah lil Kitāb, 1415A H).

Abdulrahman Hussein Obeid (Corresponding author)
Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah
Universiti Sains Islam Malaysia
Bandar Baru Nilai
71800, Nilai, Negeri Sembilan, MALAYSIA
Email: drabrahman@usim.edu.my